

تأملات في touq& آيات من سورة غافر touq&; بواسطة القسم العلمي

برنامج أسرار التنزيل

للشيخ : صالح بن عواد المغامسي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور

أنفسنا وسينئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا تدر له وليا مرشدا ، وأشهد أن لا إله

إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله بلغ عن الله رسالاته ونصحه له في

بريآته ، فجزاه الله بأفضل ما جرى به نبيآه أمته .

أيها المباركون هذا لقاء متجدد من برنامجكم

((أسرار التنزيل)) والسورة التي نحد بصدد الحديث عنها اليوم هي سورة (( غافر )) ، وسورة غافر تجتمع

مع سور آخر تعرف "آل حاميم" ، هذا كله تمهيد قبل أن نعرض الآيات التي نحد نريد أن نميط اللثام عن

سرها ، نقول : سورة غافر بعدها بست سور تأتي سورة الأحقاف ، ما بين سورة غافر وسورة الأحقاف سور ((

فصلت ، والزخرف ، والشورى ، والذخا ، والجاثية ، ثم الأحقاف )) هذه السور كلها مبدوءة بقول الله جل

وعلا " حم " فتعرف بسور الحواميم ، وبتعبير أصح عذري أرجح وهو أن يقال : " آل حاميم " هذه السور مكيات

إذا قلنا مكيات علمنا أنها خلت غالبا من التكليف من التشريع أو الفقهيات ، وإنما تدور موضوعاتها حول

العقيدة والبعث والنشور وذكر أنباء السابقين من الأمم قبلنا حتى يكون في ذلك عظة وتثبيت لقلب نبينا

صلى الله عليه وسلم .

الآيات التي نحد نريد أن نتحدث عنها ونبيخ المطايا حولها قول الله جل وعلا :

ل رجل مؤمن من آل فرعون ؓ هو ؓ يك ؓ ثم إيمانه) فرعون بعث إليه موسى وهارون فلم يقبل الدعوة ، من آل

فرعون مع آله بموسى ، وهذا يدل على أن ديه الله جل وعلا ليس مقتصر على فئة دون فئة ، وأنه حق أبلج ، ونور مشاع ، كل أحد على الفطرة قابل أن يقبل ذلك النور بصرف النظر عن موطنه عن زمانه عن مكانه عن عيشيته ، فلما كفر فرعون آله بعض آله ، قال الله : ( وقال رجل مؤمن من آل فرعون هو يكتم إيمانه أتق تلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعلي هو كذبه وإن بع ض الذي يعدكم إن الله لا يه دي مع هو مس رف كذاب \* يا قو لم ال هل ال ال يو م ظاهريه في ال أر ض فمه ينصرنا مع بأ س الله إن جاءنا ) هذه الجزئية التي نريد أن نقف على سرها ، هي تعلمنا بأسلوب القرآن كيف الإنسان يدعو إلى الله يجب أن نشعر مع ندعوه إلى الله أننا نحبه وأننا نرغب كل الرغبة في أن يؤمن ، وأننا نفرح كل الفرح إذا تاب وعاد وآب إلى ربه ، فهذا المؤمن مع آل فرعون يقول لفرعون ومع مع جنوده كفارون وأتباعه ، يقول : ( فمه ينصرنا ) هذا استفهام ( مع بأ س الله إن جاءنا ) ( فمه ينصرنا مع بأ س الله إن جاءنا ) وأنت تعلم أن بأس الله إذا جاء له يأتي على هذا المؤمن ، لكنه بطريقته أشرك نفسه مع قوم فرعون حتى يشعر بهذا الأسلوب واختيار هذه العبارات والألفاظ أنه منهم ، وأنه خائف وجل عليهم وأنه يريد بهم الخير ، وحتى لا يظنك خصومه وأعداؤه في بلاط فرعون أنه موال لموسى ، وهذه مع الحكمة والسياسة الشرعية التي جاء بها الدي .

قال : ( فمه ينصرنا مع بأ س الله إن جاءنا ) ( ويا قو إنني أخاف علي كم يو التناد ) إلى أن قال : ( يو م تلون ما لكم مع الله مع عاصم ومع يض لل الله فما له مع هاد { ٣٣ } ولقد جاءكم يوسف مع قب ال بينات فما زل تم في شك مما جاءكم به حتى إذا ما إذا هلك قل تم له يب عت الله مع بع ده رسولا ) أحيانا تأتينا أسئلة يسألنا الناس كيف يقول الله عن الظالمين بأنهم هلكوا ، ثم يقول عن نبيه يوسف ( حتى إذا هلك ) ؟ وينسون ولا يتدبر السائل أن الله ساق هذا اللفظ على لسان مؤمن فرعون وهو

فرعون وآله ، قال : ( ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك ) هو لا يريد أن يشعرهم أنه يثني على يوسف ، لا يريد أن يشعرهم أنه مؤمن بموسى ، لا يريد أن يشعرهم إلا أنه واحد منهم لأن يوسف وموسى من بني إسرائيل وهو قبلي من سكان مصر الأصليين فلا يريد أن ينجاز في الخطاب ، وإن انحاز في المعتقد ومال بقلبه إلى شريعة الله وما جاء من الحق ، لكنه يختار عبارات تبقى على سرية إيمانه وعدم كتمانه وتبقي على الأمل في أنه يمكنه ويتأتى له أن يهدي الناس ، لكنه من أتى للناس بالسوط بالسيف وحده لا يمكنه أن يؤمنه الناس .

قال : ( حتى إذا هلك قلتم له يب عت

الله مع بعده رسول ) ، لما يقول بعدها : ( كذلك يضلل الله من هو مسرف مرتاب ) يكون لهذا الوقع وإن كان شديداً يكون له قبول في أنفسهم لأن السامع سيوازن ما بين الكلمات التي فيها الشدة ، وما بين الكلمات التي فيها الرقة ، وهذا هو منهج وهدى القرآن في دعوة الناس أن الإنسان يجمع ما بين الترغيب والترهيب .

إذا هلك قلتم له يب عت الله مع بعده رسول كذلك يضلل الله من هو مسرف مرتاب ) إذا اكتفينا بهذا في إمطة اللثام على السر فإننا نستطرد علما وهذا من حقائق علينا في قضايا حول هذه الآيات من أعظمها:

أن يوسف عليه السلام هو السبب بعد الله في دخول بني إسرائيل أرض مصر عندما اشتراه العزيز ، فأول من وطئت قدماه أرض مصر من بني إسرائيل هو يوسف ثم تسبب يوسف في قدوم أبيه وإخوته : ( وقال يوسف لمصر إن شاء الله آمين ورفح أبوي على ال عمر ش ) وخرج بنو إسرائيل من أرض مصر بعد أن أمر الله جل وعلا موسى ( وأوحى لنا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون ) في تلك الحقبة حتى تعلم أن يوسف هو الأول من بني إسرائيل دخولا إلى مصر ، وموسى هو الأول خروجا ، من هذا يفهم أن هناك زمنا ممتدا ما بين

يوسف وموسى .

تقول الروايات الصحيحة عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه في إحدى غزواته مر عليه

الصلاة والسلام على أعرابي ، هذا الأعرابي أكد رسولنا صلى الله عليه وسلم ، والنبى معه سجيته الوفاء ،

قال : يا هذا □ أي أعرابي □ " تعاهدنا " أي اتينا حتى نكافئك ، الأعرابي بعد دهر مرت به حاجة فاقه قدم

إلى المدينة ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه : " سلني حاجتك يا

أعرابي " ، قال الأعرابي : " أسألك شاة وأعزنا يجلبها أهلي " فطلب الشيء الملتصق ببيئته ، فانتهدز النبي

صلى الله عليه وسلم هذا الموقف مع الأعرابي ليعلم أصحابه قال : " عجز هذا الأعرابي أن يكون مثل عجوز

بني إسرائيل ؟ ، فسأل الصحابة ما عجوز بني إسرائيل ؟ ، فقال صلى الله عليه وسلم : " إن يوسف لما حضرته

الوفاة □ هذا موضع إستيقاق الشاهد في هذا الخبر □ " إن يوسف لما حضرته الوفاة أخذ العهد على بني

إسرائيل أن يأخذوا عظامه أي جسده معهم إذا تركوا أرض مصر " فلما أراد موسى أن ينفذ أمر الله ويأخذ بني

إسرائيل مع مصر ويتجاوز بهم البحر قال له أحبار بني إسرائيل ذكروه بعهد يوسف و بما طلبه منهم ، فقال

لهم موسى : ومن يعرف قبر يوسف ؟ فقالوا : لا يعرف قبر يوسف إلا عجوزا فينا ، فجيء بالعجوز ، فقال لها

موسى : دليني على قبر يوسف ، فقالت : له أدلك حتى تؤتيني حكمي ، أي شرطي ، قال : وما حكمك ؟ قالت :

أن أكون مرافقتك في الجنة .

فالآن تأمل الفرق في الطلب بين الأعرابي الذي طلب أعزنا يجلبها

أهله ، وبين هذه المرأة التي طلبت مرافقة نبي الله موسى في الجنة ، والناس يتفاوتون في فهمهم ، في

مطالبهم ، في غاياتهم ، فيما ينشدونه ، وفي كل من المؤمنين خير كما قال صلى الله عليه وسلم ، ثم في باق

الخبر أن العجوز قبل موسى شرطها ، ودلتهم العجوز على قبر يوسف فأخذه معهم . والحديث صحيح .

الذي

يعيننا مع هذا كله نذكرنا استطرادا على قول الله جل وعلا حكاية عن مؤمن آل فرعون (ولقد جاءكم □  
قب □ ل بال □ بينات فما زل □ تم □ في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قل □ تم □ له يب □ عت الله مع بع □ ده  
يولا كذلك يضل الله مع □ هو مس □ رف مر □ تاب) فقول الله جل وعلا هنا: (له يب □ عت الله مع بع □ ده رسول)  
دليل صريح على أن يوسف كان رسولا ، وإن كان خبر يوسف في سورة يوسف ليس فيه إشارة واضحة على أنه رسول  
اللهم إلا ما كان مع قوله يوم أن كان في السجن : (يا صاحبي السجن □ ن أأر □ باب متفرقون حي □ ر أم الله  
ال □ واحد ال □ قهار) ، لكه هنا في سورة غافر جاء النص الصريح على أن يوسف عليه السلام كان رسولا لبني  
إسرائيل .

الوقفة الثالثة في هذه السورة المباركة : مع قول الله جل وعلا : (هو ال □ حي لا إله إلا  
هو فاد □ عوه من □ لصيه له اليه) نذكر نعلم أن هناك اسما لله أعظم إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى ،  
فبعض العلماء يقول : هذا الاسم هو " الله " لفظ الجلالة ولهم أدلتهم .

وبعضهم يقول : إنه " الحي القيوم

" ولهم أدلتهم .

وبعضهم يقول : إنه هو " الحي لا إله إلا هو " ، أي هذه الآية التي يبس أيدنا الآن

.

ما السر أو الطريق أو السبب الذي مع أجله قال بعض العلماء هذا ؟ هو أن الله قال بعدها : (هو

ال □ حي لا إله إلا هو فاد □ عوه من □ لصيه له اليه) فقالوا إن فعل الأمر هنا " فادعوه " ، قرينة شبه ظاهرة

على أن اسم الله الأعظم هو الحي لا إله إلا هو " .

والحي : اسم مع أسماء الله الحسنى ، وحياته جل

وعلا صفة مع صفات الثابتة الازمة له ، ويقال في تعريفها : حياة لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال ، حياة

ربنا جل جلاله لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال ، سبحانه وبحمده هو الكبير المعنالي .

إذا في هذا

كله أيعا المباركة نلوه قد حررنا ثلاث آيات :

آتيه تتعلقان بمؤمه آل فرعون في قوله : (فمه ينصرنا مه

بأ □ سه الله إن □ جاءنا) حتى نعلم السبل المثلى والطرائق الحكيمه في دعوة الناس .

وفي قوله : (حتى

إذا هلك ) نحتاج أحياناً إلى أن نبعده عن أنفسنا التعمه نحاول أحياناً أن نحافظ على المكتسبات ما استطعنا

إلى ذلك سبيلاً .

وفي قول الله جل وعلا : (هو ال □ حي لا إله إلا هو) فالله جل وعلا يجب مه عباده

أن يلحوا عليه في الدعاء ، وليس هناك هدي يعلمنا بحق كيف ندعو ربنا مثل القرآن ومثل سيرة وسنة نبينا

صلى الله عليه وسلم .

لا تسأله بني آدم حاجة \*\* وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت

سؤاله \*\* وبني آدم إن سأله يغضب

فالمؤمه الذي يعرف الله يثني على الله يمجده بما هو أهله ، ثم

يسأله حاجته ويبيد فقره إلى خالقه وحاله وتقديره بيه يدي ربه تبارك وتعالى ، ثم يختم ذلك بحمد الله

والصلاة على نبيه ، يكون ذلك أرجى في قبول الدعاء .

هذا ما تحدر إيراده وتعباً إعداده ، وأحمان

الله على قوله في (( أسرار التنزيل )) مه سورة (( غافر )) التي هي إحدى السور السبع مه سور آل

حاميم ، المبدوءة كلها بقول الله جل ذكره وعز شأنه: (حم). والله المستعان وعليه البلاغ ، والحمد لله رب

العالمية .

\*\*\*

المصدر (( منتديات الصفة ))